مُقَدِّمَة

تتميز هرمينوطيقا بول ريكور، الفيلسوف الفرنسي، بإثارة تناقضات الفلسفة الغربية المعاصرة والتعبير عن معضلاتها، وتنازع تأويلاتها، وتكشف عن روح قلقة وارتيابية ونقدية لكنها مناضلة وجريئة: تعالج تساؤلاتها دون خوف ولا مواربة، بكل ما يلزم فعل التفلسف من أصالة وبعد نظر وحكمة واستقلالية. ولم تنشأ تلك الفلسفة مما أخذه ريكور من أعلامها أو تركه فحسب، بل هي بحث نقدي أيضا في معطيات متعددة وغنية لمسار فلسفي طويل، كان قد بدأه ريكور مع الفلسفة التأملية والوجودية والفينومينولوجيا ومناقشة التحليل النفسي وعلماء الأنثروبولوجيا وفلاسفة البنيوية والفلسفة التحليلية، واستثمار أرسطو وأفلاطون وأوغسطين، واستدعاء ماركس ونيتشه وهابرماس، وفيتجنشتاين وفون رايت وأنسكومب، وانتهى به المطاف إلى هرمينوطيقا فلسفية لا تتنكر لكل مكونات مسارها الفلسفي، وتحاول أن تفهم الذات من خلال وساطة الرموز والنصوص والثقافات والأفعال الإنسانية، وتعرض نفسها في سياق أفق أنثروبولوجي همه البحث عن ماهية الإنسان ككل.

غير أن جمع ريكور بين الهرمينوطيقا والأنثروبولوجيا الفلسفيتين بدا لبعض الباحثين مستحيلا، فشتان بين هرمينوطيقا نقدية تشكك في فهم الذات لنفسها وأنثروبولوجيا فلسفية تريد أن تؤسس لماهية الإنسان ككل. كما أن بحثه لكثير من تيارات الفلسفة الغربية المتنافرة واستثماره

لمفاهيمها، ولو بطريقة نقدية، بدا للبعض الآخر مخجلا، مما يطرح إشكالية وحدة فلسفة ريكور على المحك.

يريد هذا البحث أن يمسك بجوهر تلك الفلسفة، وهو في نظري جدل الفهم والتفسير، الذي يشكل محور تأويلها وأساس وحدتها وتماسكها الداخلي. وبالتالي، فهو بحث يتساءل عن طبيعة العلاقة بين الفهم والتفسير في فلسفة ريكور، وكيف رتب هذا الأخير لتلك العلاقة؟ وما أهميتها في فلسفته؟ وأخيرا، كيف نتلقى في سياق فلسفتنا العربية والإسلامية فلسفة التأويل المبنية على جدل الفهم والتفسير عند ريكور؟

يتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ويحاول أن يجيب على تلك الأسئلة المحورية من خلال نصوص ريكور الفلسفية. وإذا كان على المقدمة أن تطرح الأفكار الأساسية لموضوع البحث فإن عليها أن تشير إلى منهجه التأويلي الجدلي في التفسير والفهم، الأمر الذي يؤكد تطابق منهج البحث مع موضوعه. ومن المهم الإشارة إلى قلة الدراسات والتراجم العربية عن بول ريكور، وصعوبات الترجمة بالنسبة للباحث غير المتخصص، أما الخاتمة فتلخص أهم النتائج التي انتهى إليها البحث. يطرح الفصل الأول تعريف الهرمينوطيقا عامة وعند ريكور خاصة، وعلى أساس علاقتهما الجدلية يمكن توضيح طابع الهرمينوطيقا التي تحكم فلسفة ريكور، ومن جهة أخرى، يتتبع كيفية انبثاق إشكالية العلاقة الجدلية بين الفهم والتفسير في الفلسفة الغربية عامة، وكيفية طرحها الهرمينوطيقي خاصة وصولا إلى ريكور. ويحلل الفصل الثاني التساؤل عن طبيعة العلاقة بين الفهم والتفسير في فلسفة ريكور، وكيفية اندراجها ضمن سياق الجدل بين خطاب التأويل وخطاب النص وجدل المسافة والتملك، ليركز البحث على طبيعة

الفهم والتفسير وأنماطهما المختلفة، ويحدد ما إذا كانت العلاقة الجدلية بينهما نظرية خاصة بالنص أم هي نظرية عامة تشمل التاريخ والأفعال الإنسانية أيضا؟ أما الفصل الثالث، فإنه يتساءل عن دلالة وأهمية تلك العلاقة في وحدة فلسفة ريكور وفهمها للهوية الشخصية وعلاقتها بصراع التأويلات، وأبعادها الهرمينوطيقية بخصوص عمل هرمينوطيقا الارتياب وإشكالية المعنى والتأويل، وأبعادها الأنثروبولوجية التي تتعلق بفهم الإنسان ككل. وأخيرا، يتناول الفصل الرابع الفهم التطبيقي لجدل الفهم والتفسير، من خلال أمثلة مختلفة تناولها ريكور، كالنصوص الدينية والحكايات الخيالية والتاريخية والاستعارة والعلوم الإنسانية والترجمة، لكي نتساءل في سياق فلسفتنا العربية الإسلامية عن كيفية تلقينا لجدل الفهم والتفسير، وبالتالي ما هي مآخذنا عنه وما هي المزايا التي نراها فيه؟ وهل يمكن أن تملأ هرمينوطيقا الارتياب والتوسط الجدلي المبنية على جدل الفهم والتفسير فراغا فلسفيا في حياتنا العملية وتجربتنا المعيشة أم أنها ستبقى مجرد نزعة حالمة وعقيمة لا تلد شيئا في سياق ثقافي غير سياقها؟

أخيرا، إذا كان علي أن أشكر أحدا بعد الله الذي وفقني لإنجاز هذا البحث، فإني أشكر أستاذنا الكريم الدكتور عمر مهيبل الذي لم يبخل علي بملاحظاته القيمة بشأنه، كما أشكر كل من شجعني عليه لا سيما أستاذنا المحترم الدكتور عبد الرحمان بوقاف، مع عرفاني وامتناني لكل من ساهم في إخراجه بهذا الشكل من قريب أو بعيد.